

المنظور الفلسفي لمشكلة الزمان في الفكر الفلسفي

م.د. محمد عبد الله جرو الخالدي

المقدمة

ان معالجتنا لمشكلة الزمان هذه ضمن اطارها التاريخي لربما تعطي ثمارها نفسها واحدى هذه الثمرات بروز فكرة النمو والتطور من البسيط الى المعقد في قضايا الفكر الفلسفي.

حيث تناول مشكلة الزمان عند بعض الفلاسفة والمتكلمين المسلمين والفلاسفة الغربيين من منظور فلسفي . حيث واجهة مشاكل كبيرة وعريضة لتداخل المفردات مع مشاكل الخلق والوجود وكذلك تصور بعض فلاسفة المسلمين صور الزمان تصور حسي ، عيني فالزمان الصفة الموضوعية ووجود حقيقي.

وتبدأ مشاكل فلسفة حول الزمان مثل الوجود الزماني واللازماني وكذلك من بدأ الزمن وهل هو متصل أم منفصل وما علاقتنا الآن به.

التمهيد: مشكلة الزمان من فلاسفة اليونان الي الفلاسفة المعاصرين

مقولة من مقولات الفكر عند بعض الفلاسفة وهي مقولة من مقولات الوجود عند البعض الآخر. والزمان من الناحية اللغوية على جميع الدهر وبعضه ، وهو جانب من جوانب الوعي الانساني ، وهو ملاحظ نفسياً أو فيزيائياً.

ولقد كان أفلاطون يتصور الزمان ليس ازلياً فقد وجد مع الخلق . فهو يتصور الله على انه صانع ينظم العالم ويحدثه ومع الحدوث ولد الزمان . واعتبر ارسطو الزمان هو مقدار الحركة نفسها ، ويقاس هو بالحركة وهي حركة عامة للكون وهو مصدر الكون والفساد وهو قوة فاعلة وليست شيئاً سلبياً وليست متوقفاً على النفس الانسانية ، وان كان عقل الانسان مطلوباً لأنه هو الذي يقيس الحركة ومن ثم يقيس الزمان . ولم يوجد افلاطين بين الزمان والحركة لأن الزمان اسبق من الحركة والزمان على هذا هو المبدأ الذي يحسب ترتيب افعالنا.^(١)

ولقد كان للزمان في التراث الاسلامي مؤثر في الفكر الفلسفي لان الاسلام اعتبر الله هو الكائن القديم الوحيد ولم يريدوا أن يشركوا معه أحداً ، ومن ثم فإن الزمان مخلوق خلق مع خلق العالم فهو إذن حادث وأن كان الله متقدماً ذاتياً لا متقدماً زمانياً .

ويرى التهانوي أن الزمان جوهر مجرد عن المادة لا جسماً مقارباً له ، وإن حصلت الحركة فيه سمي زماناً وأن لم توجد الحركة فيه يسمى وهماً وهو الفلك الأعظم لأنه محيط بكل الاجسام وهو متصل لكنه غير قادر . ورأى المتكلمون أن الزمان اعتباري مرهوم ليست موجوداً . ورأى الاشاعرة أنه متجدد معلوم يقدر له متجدد مبهم لازالة ابهامه . وهو اعتباري بالنسبة للاعمال وهو حادث عرضي . وكان ابن سينا يرى انه وعاء لا لون له ولا حجم وهو أوقات متتالية . عند أبي البركات البغدادي الزمان ظاهرة نفسية أو حدسية تتركها النفس بذاتها ومع ذاتها

(١). زيادة ، معن : الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد الأول ، معهد الأنما العربي ، ط ١ ،

وجودها قبل كل شيء تشعر به وتلحظه بذهنها . وهو عند ابن حزم مدة وجود العرض في الجسم ، وهو عند ناصر خسرو تغير احوال الجسم . وجعل الرازي الطبيب الزمان واحداً من المبادئ الخمسة القديمة للكون وهي الباري والنفس والميولى ، المكان المطلق ، والزمان المطلق . ويرى الصوفية ان الوقت هو الحال التي يكون الانسان فيها والوقت حال فردي .

وقارن التوحيدي في كتابه " التمايزات " بين المكان والزمان فقال: الظرف الزماني الطف من ظرف المكان ، والمكان اكتف من ظرف الزمان وكأن المكان من قبيل الحس والزمان من قبيل النفس^(١).

أما هيجل فاعتبر الزمان هو التقدم في الروح وهو الجدل فيها وهي تقهر نفسها من أجل تأكيد نفسها فالزمان والسلب واحد.
لقد اعتبر الزمن عند معظم الفلاسفة له وجود موضوعي خارجي لكن فيلسوفاً مثل كانط اعتبره هو المكان مقولتين من مقولات ملكة الفهم ، وأنهما اشبه بالنظارة التي تنظر بها الى العالم الخارجي والباطني فالزمان فعلي له وجود فعلي من الناحية الظاهرية لكن ليس له وجود فعلي من الناحية الشيء في ذاته . ويبدو أنه يسير في خط إسحاق نيوتن من وجود زمان مطلق وزمان نسبي مرتبط بالظاهر وما هو شائع وهو قابل للقياس بالساعات والحركات الظاهرة للنجوم الثابتة . ويبدو ان نظرية كانط هي التي أفضت بالفيلسوف المعاصر برغسون ان يفصل بين نوعين للزمان: زمان اشبه بالمكان قابل للقسمة وزمان متدفق سيال شعوري لا يقبل القسمة سماه الديمومو ووحده مع الحرية التلقائية عند الانسان وأعتبر صغير ان اهم بعد للزمان هو المستقبل والانسان هو الكائن الوحيد المهوم بذاته وانه مقذوف به دائماً المستقبل . فالزمان بصفة اساسية في انية الانسان . وبالنسبة للوجوديين بصفة عامة .

(١). زيادة ، معن : الموسوعة الفلسفية العربية ، ص ٤٦٨ .

اعتبر الزمان هو الوجود شيئاً واحداً ، واعتبره عين الوجود فتصور وجود غير زمني وهم^(١) :

المقصد الأول : التناهي واللاتناهي عند المسلمين :

يذهب المعتزلة الى ان الله واحد ، ولا تحيط به الاقطار وهو لا يجول ولا يزول ولا يتغير ولا يتنقل .. وانه القديم وما سواه محدث^(٢) ويلخص الاشعري ، اراءهم فيما يتعلق بعلاقة الله بالعالم والزمان فيقول : أجمعت المعتزلة على ان الله واحد .. لا يتحرك ولا يسكن .. ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان .. لم يزل أولاً سابقاً متقدماً للمحدثات ، موجوداً قبل المخلوقات .. وأنه القديم وحده ولا قديم غيره ولا آله سواه^(٣) . وبناء على ذلك فان الله عند المعتزلة سابق على العالم والزمان اللذين لم يكن لهما وجود قبل خلقهما ، أي أن الله كان ولم يكن معه عالم ولا زمان ، وهذا ما يؤكد ابن سينا فيقول : أثبتت المعتزلة امتداداً بين الأول وبين خلق العالم وسموه (اللا وجود)^(٤) . مشيراً الى أن هذا الامتداد الثابت عندهم هو وعاء الزمان^(٥) . أما الغزالي فيذكر عنهم أنهم يذهبون الى أن العالم حادث ، ولكن حدث بالوقت الذي حدث فيه ، لا قبله ، ولا بعده ، لا أرادة حادثة حدثت له لا في محل فاقتضت حدوث العالم .

المقصد الثاني : العوامل الفاعلة في وجود الزمان :

تعد الحركة والنفس من العوامل الرئيسية لوجود الزمان . وان كان من نتحدث عنهم ، على تفاوت بين قائل بجميعها وقائل ببعضها .

(١). زيادة ، معن : الموسوعة الفلسفية العربية ، ص ٤٦٧ .

(٢). ابن الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط : كتاب الانتصار ، بيروت ، ١٩٥٧ ،

ص ١٣-١٤ .

(٣). الاشعري : مقالات الإسلاميين ، ص ١٥٥-١٥٦ .

(٤). ابن سينا : التعليقات ، ص ١٣٨ .

(٥). المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

حيث يرى الكندي ان كانت حركة كان زمان ، وأن لم تكن حركة لم يكن زمان ، وكذلك العلاقة المتلازمة بين الزمان والحركة والجسم . أي أن لم يكن متحرك الذي هو الجسم ، لم يكن حركة ، فان لم يكن جسم لم يكن زمان ولا حركة ، وأن كان زمان كانت هناك حركة وان كانت حركة كان هناك جسم ^(١). والزمان هو مدة تعدد الحركات غير ثابت الجزاء ^(٢).

أما الرازي يذهب الى أن الزمان المطلق لا علاقة له بالاجسام والحركة ، إذ ليس في بطلان الفلك أو في سكوته ما يبطل الزمان الحقيقي الذي هو المدة والدهر ^(٣)، فهو ليس بحاجة الى حامل يحمله.

بينما الزمان المحصور يفتقر وجوده الى الحركة التي تقدر جزاء من المدة فيكون هو هذا الجوّء ،.بذلك أن (الزمان في نفسه - يعني المدة - في حالة اخرى من حيث هو محدود مقسم ، بحركات الفلك يسمى الزمان) ^(٤).

ويؤكد الفارابي العلاقة بين الزمان والحركة بقوله: وانه يتبع الحركة ويعرض لها عارض يسمى الزمان وقطعه الآن ^(٥). لكنه يرى أن الزمان ضعيف الوجود ، ومعياره الذي بنى عليه حكمه هذا ، يتمثل بإيمانه ، أن المعقول من الوجود في النفس ، حيث يكون مطابقاً لما هو موجود منه ، فانه يكون تاماً ، والمطابقة هذه تقوم على أساس وجود الموجود الخارجي عن النفس ، الحكم على الشيء بتمام الوجود ، يكون على قدر استقلال وجوده عن النفس ، فكلما تعلق وجوده بالنفس كان ناقص الوجود ، وعليه فان وجود الزمان وجود ناقص لانه غير مستقل عن النفس ، بل هو متعلق بها.

(١). الكندي ، الرسائل ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

(٢). الاعسم ، د. عبد الامير : المصطلح الفلسفي ، ص ١٩٢ .

(٣). المرزوقي : الارمنة والامكنة ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٤). بنيس : مذهب الذرة ، ص ٥٢ .

(٥). الفارابي : الدعاوي القبلية ، ضمن رسائل الفارابي ، ط ١ ، ص ٧ .

أما ابن سينا فهو ينحو في نفس الاتجاه لكنه يرى ان الزمان ضعيف الوجود لكنه سيالاً غير ثابت^(١). لذا يصعب على العقل تصوّره.

ويذهب اخوان الصفا الى ان الزمان مقرون بحركة الجسم^(٢)، وان النفس حين تتأمل تكرر الليل والنهار ، تحدث فيها صورة الزمان كلها. إذن الزمان ليس هو بشيء سوى جملة السنين والشهور والايام والساعات تحصل صورتها في نفس من يتأمل تكرار مرور الليل والنهار حول الارض دائماً^(٣).

أما الغزالي الذي يؤكد على تلازم العلاقة بين الزمان والحركة ، وان الحركة عنده عامل رئيس لوجود الزمان فيدونهما لا وجود له . إلا أنه أشرط في الحركة تقدم وتأخر^(٤). فنحن نعرف الزمان عند تحصيلنا الحركة بأن نحصلها بالمتقدم والمتأخر . حينئذ نقول أنه قد كان زمان ، متى احسنا بالمتقدم والمتأخر في الحركة.

أما حين نلقيهما فلا وجود للزمان لذلك لا يحس النائمون بالزمان لانهم يجعلون الآن واحداً بعينه ، حين يضيفون الآن المتقدم لنومهم الى التالي له ويرفعون ما بينهما لعدم شعورهم به . بيد أن الآن .. أن كان مختلفاً ثم لم يشعر به لم يظن ان ما بين الاثنين زمان ، وعليه فإن وجود الزمان يقتضي تفاعلاً بين جانب ذاتي ممثل بالنفس ، وجانب موضوعي ممثل بالحركة . والزمان هو الحركة موسومة من جهة المتقدم والمتأخر^(٥).

(١). ابن سينا : التعليقات ، بدوي ، ص ٤٢ .

(٢). اخوان الصفاء : الرسائل ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٣). المصدر نفسه : ص ١٥ .

(٤). الغزالي : مقاصد الفلاسفة ، ص ٢٦٠-٢٦٢ .

(٥). الاعسم : د. عبد الامير ، المصطلح الفلسفي ، ص ٢٩٧ .

المقصد الثالث: الزمان كمقدار للحركة :

الزمان هو يضاهي المصنوع وهو المقدار من جهة التقدم والتأخر والحق أن ابن سينا ، الفيلسوف الوحيد من بين الفلاسفة ، يونانيين ومسلمين الذي بين بوضوح ، ماذا يقصد من قوله ، الزمان بمقدار^(١).

وأول ما يلاحظ على ابن سينا في موقفه التفصيلي أنه يتدرج في التمييز بين الاجسام المتحركة التي تختلف في السرعة والبطء والمكونات في قطعها لمسافات معينة الى اثبات وجود الزمان مقدار الحركة . ولابد من الإشارة أيضاً الى ان الزمان متعلق بالحركة المستديرة عند ابن سينا ، فهو مقدار لها ذلك ان الحركات الأخرى يقدرها الزمان^(٢).

أما الرازي لا يوجد علاقة لوجود الزمان بالاشياء كما هو الامر بالنسبة للزمان المطلق الذي هو المدة والدهر.

اما في الزمان المضاف يرى الزمان منقسم وكل منقسم بحسب رأي ابن سينا فمقدار ، وكذلك الامر بالنسبة الى الفارابي الذي به يقدّر وجود ما هو متحرك أو ساكن^(٣). أما اخوان الصفاء فقالوا مقدار متصل^(٤). وكذلك الغزالي يؤكد على ان الزمان مقدار للحركة من خلال تعريفاته للزمان.

المقصد الرابع: الزمان كم متصل :

يرى الكندي ان الزمان من الكمية المتصلة ، اغني ان له فصلاً مشتركاً للماضي منه والاني ، وفصله المشترك هو الآن^(٥). أما ابن سينا فيخالف أرسطو

(١). الاغم : د. عبد الامير ، المصطلح الفلسفي ، ص ٢٥١٥..

(٢). ابن سينا : النجاة ، ص ٨٩-٩٠ .

(٣). الفارابي : الرسائل ، ص ٦٢ .

(٤). اخوان الصفاء : الرسائل ن ج ١ ، ص ٢٠٠.

(٥). ابن سينا : التعليقات ، بدوي ، ص ٨٩ .

في أن يكون الزمان كم بالعرض ، بل انه كم في ذاته ، لان الحركة تفيد الكمية والاتصال يكون في حركة الاستدارة ولاسيما من جهة المتقدم والمتأخر .

أما الغزالي الزمان عنده كم متصل ، يربط الآن بين طرفيه الماضي والمستقبل^(١) . ان الغزالي لم يأخذ اراءه من كتبه بل اقتبسها من ابن سينا .

المقصد الخامس : اشكال وجود الزمان الماضي والحاضر والمستقبل :

يبدو لي ان الفارابي ، هو الفيلسوف الوحيد أولى اهتماماً بارزاً في بيان الزمان الماضي والحاضر والمستقبل وقد حدد الفارابي موقفه من المسألة على أساس المزاوجة بين الرأيين ليعرف من خلالهما الحاضر ، في أن الآن نهاية الزمان الماضي ومبدأ الزمان المستقبل أي أنه لا يوجد زمان حاضر أصلاً أما زمان ماضي أو مستقبل .

ويذهب الغزالي في كتبه الى أن الزمان منقسم الى ماضٍ وحاضر ومستقبل ولكن هذه الاشكال ليس لها وجود حقيقي كما اكده في الكتب الكلامية فيما يتعلق في الماضي والمستقبل^(٢) . وهذا يعود الى ان الغزالي لا يؤمن بوجود الزمان وجوداً حسياً موضوعياً ويتضح هذا الامر في سائر كتبه التي اكد فيها ارتباط وجود الزمان بالحركة .

الزمان عند هيدجر

أن التفكير في الزمان يبدأ من التفكير في الميتافيزيقيا التي ادركت الزمان على أنه حاضر دائم ، وكذلك فإن الوجود يرادف الدوام في الحضور وهذا من انتاج الفكر الفلسفي اليوناني ، فالوجود (كان محصوراً بأسره في اللحظة الحاضرة ولم يكن ثمة شيء يدفع به في الماضي والمستقبل^(٣) .

(١). الغزالي : مقاصد الفلاسفة ، ص ١٦٦ ..

(٢). الغزالي ، التهافت ، بويج ، ص ٦٧ .

(٣). بدوي ، د. عبد الرحمن : الزمان الوجودي ، ص ٧٢ .

أن الزمان ليس موجوداً كشيء معين له وجود موضوعي ، فهو ليس من طبيعة الموجود في شيء ، ولكنه وهو يتلاشى ويمضي ويستمر في حضوره ، والوجود كذلك ليس من طبيعة الموجود في شيء ، إلا أنه من حيث حضور قريب فإنه يتعين بالزمان (إن الوجود والزمان يتحددان بالرجوع الى بعضها ، ولكن على نحو لا يسمح للوجود بأن يقال عنه زمني ، ولا للزمان بأن يقال عنه موجود) ^(١) . وفي الحضور يتكلم الحاضر ، أنه - أي الحاضر - يشكل مع الماضي والمستقبل الابعاد الثلاثة للزمان ، والزمان (بدوره هو ما به يتحدد الوجود من حيث هو ارضية له) ^(٢) وأن هذه العلاقة بين الزمان والوجود تشير الى الكثير من المسائل الفكرية والفلسفية ، ولاسيما في فهم الكيفية التي يجري بها تحيد الوجود بالزمان . ويقول (هيدجر) : ((إن لكل شيء زمانه الخاص ، تكون قد سميناه الزمان . وهذا معناه: ان كل ما هو في الزمان ، كل موجود ، يأتي ويمضي في اللحظة المناسبة)) ^(٣) .

ان هذا الفهم الميتافيزيقي للزمان هو الذي جعل من الوجود لا زمانياً على أساس اللحظة الحاضرة والمتمثلة (بالآن) ابدية وأن الماضي والمستقبل أنات غير موجودان . ، لا يمكن حساب الزمان لان الزمن المحسوب يكون أمامنا في حوزتنا ونتمكن من تحسسه عندما نقبض على الساعة ^(٤) ونلقي نظرة على عقاربها. أذاً أين هو الزمان ؟ هل هو موجود ؟ (الزمان لا يكون بل هناك زمان) ^(٥) أنه حضور ، والحضور (هو المقام المستمر الذي مجيئه يهم الانسان) ^(٦) . كان (بوصفه وجود

(١). هيدجر : التقنية - الحقيقة - الوجود ، ص ٩٢ .

(٢). المصدر نفسه : ص ٨٩ .

(٣). هيدجر : التقنية - الحقيقة - الوجود ، ص ٨٩ .

(٤). المصدر نفسه : ص ١٠٨ .

(٥). المصدر نفسه : ص ١١٨ .

(٦). بدوي ، د. عبد الرحمن : الزمان الوجودي ، ص ٢٠٨ .

الماضي^(١) أنه يفتح صوبنا على الرغم منه ، أنه شيء توقف على الوجود والغياب يعني أيضاً (ما ليس حاضراً بعد) ونعني بالمستقبل الذي يشكل أحد أهم تخرجات الزمان عند هيدجر (فالمستقبل هو ليس لاحق على الماضي أو أن الماضي سابق على الحاضر . فالزمانية ترمز ذاتها كمستقبل يمر بالماضي ومن ثم يتجه نحو الحاضر)^(٢).

وهناك أيضاً البعد الرابع للزمان ويسميه (هيدجر) (التلامس) ، فالزمان الحقيقي له أربعة أبعاد (المستقبل ، الماضي ، الحاضر ، التلامس بينهما)^(٣) أن التلامس هو الذي يجعل من الأبعاد الثلاثة للزمان قابلة للانفتاح.

الخاتمة

يعد الزمان من المفاهيم الفلسفية الأساسية بشكل ولاسيما الفلسفة الإسلامية ما يتعلق بالمعتقدات والثوابت الإسلامية . وهو من المشاكل التي اهتم بها الانسان قديماً وهو ما نجده عند الفلاسفة قديماً ولاسيما عند اليونان افلاطون ، ارسطو ، فان الاخير ادرك الصلة بين التغيير والحركة وبين الزمان من خلال ملاحظة الظواهر البسيطة على عميلة التغيير والحركة.

وقد توالى إبحاث الزمان بعد ذلك في العصر الوسيط سواء المسلمين منهم أم المسيحيين وارتبط البحث في الزمان بالبحث الميتافيزيائي . أي بحدوث العالم ووجود الله إذ قسم الفلاسفة الزمان الى زمان مطلق قديم هو الدهر والسرمد وزمان فيزيائي نسبي مرتبط في الأشياء المادية.

(١). المصدر نفسه : ص ٢٠٨ .

(٢). هيدجر : التقنية - الحقيقة - الوجود ، ص ٩٩-١٠٨ .

(٣). بدوي ، د. عبد الرحمن : الزمان الوجودي ، ص ٢٠٩ .

المصادر

١. ابن سينا : التعليقات ، حقيقة وقدم له د. عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، ١٣٩٢ ، ١٩٧٣ .
٢. أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط : كتاب الانتصار ، بيروت ، ١٩٥٧ .
٣. أخوان الصفا : رسائل ، تصحيح خير الدين الزركلي ، تصدير د. طه حسين ، ج ٢ ، مصر ، ١٣٤٧ ، ١٩٢٨ .
٤. الأشعري : مقالات الإسلاميين ، عن بتصحيحه هملوت رويتر ، ط ٢ ، ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٣ .
٥. الأعمش ، د. عبد الأمير : المصطلح الفلسفي عند العرب ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٣ .
٦. بدوي ، د. عبد الرحمن : الزمان الوجودي ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٣ .
٧. بنيس : مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود ، نقله عن الألمانية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، ١٣٦٥ ، ١٩٤٦ .
٨. زيادة ، معن : الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد الأول ، معهد الأنا العربي ، ط ١ ، ١٩٨٦ .
٩. الغزالي : تهافت الفلاسفة ، تحقيق مورييس بويح اليسوعي ، تصدير د. ماجد فخري ، ط ١ ن ط ٢ ، بيروت ، ١٩٦٢ .
١٠. الفارابي : الدعاوى القبلية ، ضمن رسائل الفارابي ، ضمن رسائل الفارابي ، مطبعة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ط ١ ، الهند ، ١٣٤٥ ، ١٩٢٦ .
١١. الكندي : الرسائل ، تحقيق وتقديم د. محمد عبد الهادي أبو ريره ، مصر ، ١٣٦٩ ، ١٩٥٠ .
١٢. هيدجر : التقنية - الحقيقة - الوجود ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٥ .